

المقرر الأول

عَوَائِقُ الطَّلَبِ

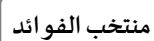
تَأليف

فضيلة الشيخ الدكتور

عبد السميع بن حسن بن عبد الكريم

رحمة الله

(١٣٨٧ - ١٤٢٥ هـ)

[illegible]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

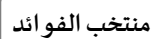
الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده .

أما بعدُ :

فهذه كلماتٌ موجزة - كنت قد نشرتُ بعضها في مجلة «المجاهد» عام ١٤٠٩ هـ - تتناول بعضَ ما يعيقُ طالب العلم عن مواصلة سيره في تحصيل العلم النافع ، بالشرح والبيان .

وكان الباعثُ على تحريرها الإشفاقُ على نهضتنا العلمية من الدَّخيل على أُسسها الثابتة التي أرساها سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم أجمعين - والأخذ بيدِ شباب هذه النهضةِ المباركة نحوَ أفضل السبل لنيل العلوم الشرعية .

وقد سُقتُها على شكل معيقاتٍ ؛ ليكون أدعى لاجتنابها ، وأقوى في التحذير منها ، على أن في ضمن هذه المعيقات ما يهدي إلى توقُّيها ، ويعين على التخلصِ منها ، وقد أكثرْتُ من النقل عن السلف الصالح فيما يتعلق بهذه المعيقات ليرتبط بهم القارئ ، ويأخذَ من سيرهم منهجاً له ، فإنهم أهدى وأتقى .

 $\wedge$

ورحم الله ابن مجاهدٍ - المقرئ - عندما قال له رجلٌ: لِمَ لا تختار لنفسك حرفاً؟ فقال: نحنُ إلى أن نُعمل أنفُسَنَا في حفظ ما مضى عليه أئمتُّنا أحوجُّ منا إلى اختياره.

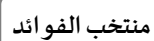
وختمتها بصفحاتٍ مفيدةٍ، حرَّرها العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمته الله - فيها جملةٌ من الفوائد المتعلقة بآداب المعلمين والمتعلمين، رأيتُ ضمَّها إلى هذه النبذة تكميلاً للفائدة وتعميماً للنفع.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبد السلام بن برّجس آل عبد الكريم

٢٥ رجب ١٤١٢ هـ

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

العَائِقُ الْأَوَّلُ

طلب العلم لغير وجه الله تعالى

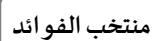
عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ؛ فَهَاجَرَتْهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» .

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: (لو أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوا الْعِلْمَ ، وَوَضَعُوهُ عِنْدَ أَهْلِهِ لَسَادُوا بِهِ أَهْلَ زَمَانِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ بَذَلُوهُ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِيُنَالُوا بِهِ مِنْ دُنْيَاهُمْ ، فَهَانُوا عَلَيْهِمْ ، سَمِعْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ يَقُولُ :

«مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا ؛ هَمَّ آخِرَتِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا ؛ لَمْ يُبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَّتِهَا هَلَكَ» .

إِنَّ أَحَقَّ مَا اعْتَنَى طَالِبُ الْعِلْمِ بِهِ مَعَالِجَةُ النِّيَّةِ ، وَتَعَهُدُهَا بِالْإِصْلَاحِ ، وَحِمَايَتُهَا مِنَ الْفَسَادِ .

وذلك لأنَّ العلم إنما اكتسب الفضل لكونه خالصاً لوجه الله تعالى ، أما إذا كان لغيره فلا فضيلة فيه ، بل هو فتنةٌ ووبالٌ ، وسوءٌ عاقبةٌ .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

وقد عَلِمَ أن قبول الأعمال متوقفٌ على إخلاصها وصلاحتها ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ الآية [البينة: هـ] .

فإذا قصَدَ الطالبُ بالعلم عرضَ الدنيا ؛ فقد عصَى ربَّه ، وأتعبَ نفسه ، وباءَ بإثمِهِ ، ولم يأتِهِ من الدنيا إلَّا ما كُتِبَ له .

قال الحسن - رحمته الله :-

(مَنْ طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها ، وَمَنْ طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منه) .

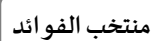
وقال الزهري: (فذاك حظه منها) .

وأبلغ من ذلك قولُ النبي ﷺ فيما رواه أبو هريرة - رضي عنه :-

«مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُتَّبَعُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا ؛ لَمْ يَجِدْ عَرَفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يعني: ريحها .

قال ابن عطاء - رحمته الله - فيمن تعلم لغير الله:

(جعل الله العلم الذي عَلِمَهُ مَنْ هذا وصفه حجةً عليه ، وسبباً في تحصيل العقوبة لديه ، ولا يغرنَّك أن يكون به انتفاعٌ للبادي والحاضر ، وفي الخبر: (إنَّ الله ليؤيد هذا الدينَ بالرجل الفاجر) ، ومثُلُ مَنْ تعلم العلم لاكتساب الدنيا والرفعة فيها ؛ كَمَنْ رفع العذرة بمِلْعَقَةٍ من الياقوت ؛ فما أَشْرَفَ الوسيلة ، وما أَحْسَنَ المتوسَّلَ إليه) .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

وقال سَحْنُون: (كان ابن القاسم قَلَمًا يعرض لنا إِلَّا وهو يقول: اتقوا الله فَإِنَّ قَلِيلَ هذا الأمر - يعني العلم - مع تقوى الله كثير ، وكثيره مع غير التقوى قَلِيلٌ).

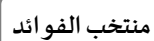
وقال يوسف بن الحسين: (سمعت ذا النونِ المِصري يقول: كان العلماء يتواعظون بثلاثٍ ، ويكتب بعضهم إلى بعض: مَنْ أَحسن سريره ؛ أَحسن الله علانيته . وَمَنْ أَصلح ما بينه وبين الله ؛ أَصلح الله ما بينه وبين الناس . وَمَنْ أَصلح أَمْرَ آخرته ؛ أَصلح الله أَمْرَ دنياه).

وقال ابن المبارك - رَحِمَهُ اللهُ -:

(أَوَّلُ العلم النِّيَّةُ ، ثُمَّ: الاستماع ، ثم: الفهم ، ثم: الحفظ ، ثم: العمل ، ثم: النشر).

وهنا أمرٌ ينبغي التنبيه عليه ، ألا وهو: أن جماعةً من السلف قالوا: (كُنَّا نطلب العلم للدنيا فَجَرَّنا إلى الآخرة) و(طلبنا هذا الأمرَ وليس فيه نية ثم جاءت النية بعد) و(مَنْ طلب العلم لغيرِ الله يَأبى عليه حتى يصيِّره إلى الله) ونحو هذه العبارات .

وقد شرح الذهبي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - هذه العبارات شرحاً مفيداً ، فقال على قول معمر بن راشد: (كان يقال: إِنَّ الرجلَ لِيَطْلُبَ العلمَ لغيرِ الله ، فيأبى عليه العلمُ حتى يكون لله).

[illegible]

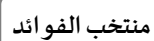
نَعَمْ ، يطلبه أولاً والحامل له حُبُّ العلم ، وحب إزالة الجهل ، وحبِّ الوظائف ، ونحو ذلك . ولم يكن علمٌ وجوب الإخلاص فيه ولا صدق النية ، فإذا علمَ حاسب نفسه ، وخاف من وبال قصده ، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها ، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم . وعلامة ذلك : أنه يقصر من الدعاوى ، وحبِّ المناظرة ، ومن قصد التكثر بعلمه ، ويؤثر على نفسه ، فإن تكثّر أو قال : أنا أعلم من فلان فبعداً له . اهـ

ومن ذلك ما يذكره بعضُ القصاص من أن رجلاً خطب امرأة ذات منصبٍ وجمالٍ ، فأبت ؛ لِفقره ، وقلةِ حسبه ، ففكّر بأيّ الأمرين ينالها : أبالمال ، أم الحسب ، فاختار الحسب ، وطلب له العلم ، حتى أصبح ذا مكانةٍ ، فَبَعَثَتْ إليه المرأة تعرضُ نفسها ، فقال : لا أؤثر على العلم شيئاً .

وذلك لأن العلمَ أرشده إلى تصحيح النية ، والأعمال الصالحة ، فدخل في عدادِ :

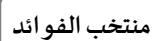
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨] .

فتورّع بتركِ امرأةٍ كان طلب العلم لأجلها ، إعلاماً بصدق قصده ، وسلامة مأربه .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

ومِمَّا قُلَّتْهُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْآيَاتِ:

إِلَيْكُمْ يَرْفَعُ الْمَأْسُورُ شَكْوَى ❁ رَجَاءَ الْمَنْ أَوْ أَخَذَ الْفِدَاءَ
 فَقَدْ غَلَّتْ مِبَاسِمُكُمْ يَدَيْهِ ❁ إِلَى الْأَذْقَانِ مِنْ بَعْدِ الْعَلَاءِ
 وَقَدْ أَضْحَى صَرِيحًا فِي هَوَاكُم ❁ قَعِيدَ الْبَيْتِ مِنْ حَرِّ التَّنَائِي
 بَرَاهُ الشَّقُوقُ وَالْهَجْرَانُ مِنْكُمْ ❁ وَأَذْمَى قَلْبُهُ طُولَ الْعَنَاءِ
 فَسَلَّ الْقَلْبَ عَنْهُمْ فِي رِيَاضٍ ❁ تُحِلُّ الْعَبْدَ أَطْبَاقَ السَّمَاءِ
 وَتَسْمُو بِالْوَضِيعِ إِلَى الْمَعَالِي ❁ وَتَكْسُو الْعُرَى أَثْوَابَ السَّنَاءِ
 وَتَبْنِي لِلْفَتَى ذِكْرًا مَشِيدًا ❁ وَتُحْيِي رَسْمَهُ طُولَ الْبَقَاءِ
 رِيَاضٌ بِالْمَعَارِفِ قَدْ تَبَاهَتْ ❁ وَفَاقَ جَمَالَهَا جَيْدَ الظُّبَاءِ
 إِذَا مَا حَلَّهَا الْعُشَّاقُ يَوْمًا ❁ تَوَلَّى عَنْهُمْ عِشْقُ النِّسَاءِ
 وَقَدْ كَانُوا قَدِيمًا فِي قُيُودٍ ❁ يَذِلُّ لِفَكَّهَا شُؤْسُ الدَّهَاءِ
 تَحَلَّتْ بِالشُّيُوخِ إِذَا تَبَدَّوْا ❁ أَنَارُوا الْكَوْنَ مِنْ شَرَفِ الضِّيَاءِ
 شُيُوخٌ بِالْمَعَارِفِ قَدْ تَغَذَّوْا ❁ وَسَيَّطَ الْحِلْمُ فِي مَجْرَى الدِّمَاءِ
 لَهُمْ فِي الْعِلْمِ صَوْلَاتٌ وَسَبْقُ ❁ وَفِي الْأَفْعَالِ جِدٌّ فِي خَفَاءِ
 وَفِيهَا الطَّالِبُونَ إِذَا غَشَوْهَا ❁ أَثَارُوا الْمِسْكَ مِنْ حُسْنِ الْبَهَاءِ
 تَرَاهُمْ نَحْوَهَا يَسْعَوْنَ جَهْدًا ❁ رَجَاءَ الْمَنْ أَوْ أَخَذَ الْفِدَاءَ



۲۰

فالحذر الحذر - أيها الطالب - من الشُّركِ في النية ، فإنَّ الله تعالى يقول
- كما في الحديث القدسي - :

«أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ . مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي
تَرَكْتُهُ وَشُرْكَهُ» .

وقد أجمع العارفون على أن استحكامَ الهَلَكَةِ إنما يكون إذا خَلَّى اللهُ بين
الإنسانِ ونفسه ، عندئذٍ تتخطَّفه الشياطين ، وتتشعب به المسالك ، وتكون النارُ
أولى به .

قال حماد بن سلمة - رحمته الله - : (مَنْ طَلَبَ الْحَدِيثَ لغيرِ اللهِ ؛ مُكْرَ به) .

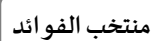
وإنَّ صلاحَ النية في العلم لأَكْبَرُ مُعِينٍ عليه ، كما قال أبو عبد الله
الرُّوذُبَارِي : (العلم موقوفٌ على العمل ، والعمل موقوفٌ على الإخلاص ،
والإخلاص لله يورث الفهم عن الله ﷻ) .

وفي «سنن الدارمي» (٧١/١) عن إبراهيم النخعي أنه قال :

(مَنْ ابْتَغَى شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ ، آتَاهُ اللَّهُ مِنْهُ مَا يَكْفِيهِ) .

تنبيه:

يستدلُّ بعضُ الناس على أَنَّ الْعَمَلَ يورثُ الْعِلْمَ دُونَ تَعَلُّمٍ ، بقوله تعالى :
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] .



۲۲

قال في «تفسير المنار» نقلاً عن شيخه (١٢٨/٣): (اشتهر على ألسنة المدّعين للتصوّف في معنى هاتين الجملتين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢] أن التقوى تكون سبباً للعلم، وبنوا على ذلك أن سلوك طريقهم، وما يأتون به فيها من الرياضة، وتلاوة الأوراد، والأحزاب = تثمر لهم العلوم الإلهية... بدون تعلّم.

ويُرد استدلالهم بالآية على ذلك من وجهين:

* أحدهما: أنه لا يرضى به سببويه - وله الحق في ذلك - لأنّ عطف ﴿يعلمكم الله﴾ على ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ينافي أن يكون جزاءً له، ومرتباً عليه؛ لأنّ العطف يقتضي المغايرة...

* الثاني: أن قولهم هذا عبارة عن جعل المسبّب سبباً، والفرع أصلاً، والنتيجة مقدّمة.

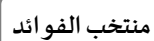
فإنّ المعروف المعقول أن العلم هو الذي يثمر التقوى، فلا تقوى بلا علم، فالعلم هو الأصل الأوّل، وعليه المعوّل (...). اهـ

وهذا كلامٌ جيّدٌ، ويضاف إليه إيضاحاً: أن العمل يُكسِبُ القلب قوّةً إيمانيةً، فيستوعب من العلوم، ويدرك من الفوائد ما لا يدركه من تأخّر عن هذه الرتبة، وهذا مشاهدٌ بالعيان، ومُدركٌ بالحسّ.

أما مَنْ تَعَبَّدَ لله، وترك العلم، وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ﴾

[البقرة: ٢٨٢].

فهو جاهلٌ، لا تُجارِيهِ الرَّعَاعُ في جَهْلِهِ، والله الحافظُ.



۲۳

العائق الثاني

ترك العمل

عن أبي بَرزَةَ الأَسْلَمِي قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَا فَعَلَ بِهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ».

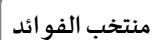
وأخرج الخطيب نحوه، وفيه: «وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ».

وفيه عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أنه قال: (لا تكون عالماً حتى تكون متعلماً، ولا تكون بالعلم عالماً حتى تكون به عاملاً).

وفيه عن عليّ - رضي الله عنه - أنه قال: (هتَفَ العلم بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).

وعن الفضيل بن عياض أنه قال: (لا يزال العالم جاهلاً بما علم حتى يَعْمَلَ به، فإذا عمل به كان عالماً).

الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ مدعاة لحفظه وثباته، كما أن عدم العمل مدعاة لضياع العلم ونسيانه، ولذلك قال الشعبي - رضي الله عنه -: (كُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ بِالْعَمَلِ بِهِ، وَكُنَّا نَسْتَعِينُ عَلَى طَلَبِهِ بِالصَّوْمِ).



۲۶

وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (إني لأحسب العبد ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها).

وقد كان دأب السلف الصالح العملَ بالعلم ، وبذلك حازوا قَصَبَاتِ السبق ، وبورك في علمهم ، ولذا قال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله تعالى -: (حدثنا الذين كانوا يقرئونا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً).

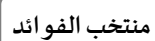
وتركُ العمل بالعلم على قسمين :

الأول: ترك الائتمار بالواجبات الشرعية ، وترك الانتهاء عن المحرمات الشرعية ، فهذا كبيرة من الكبائر ، وعليه تُحمل الآيات والأحاديث المتوعدة مَنْ ترك العمل بالعلم .

القسم الثاني: ترك المستحبات ، وترك اجتناب المكروهات فهذا يُذمُّ لكن لا يدخل في أحاديث الوعيد ، إلا أن العالم وطالب العلم ينبغي لهما المحافظةُ على السنن ، واجتنابُ المكروهات . والله أعلم .

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

(والمسكين كلُّ المسكين مَنْ ضاع عمره في علم لم يعمل به ، ففاته لذات الدنيا ، وخيرات الآخرة ؛ فقدِم مفلساً مع قوة الحجة عليه). اهـ

[illegible]

العائق الثالث

الاعتماد على الكتب دون العلماء

يرى بعض الطلبة من نفسه قدرةً على أخذ العلم من الكتب دون الرجوع إلى العلماء في توضيح عباراتها، وحلّ مشكلاتها. وهذه الثقة بالنفس دائماً طالما رأينا صرعاة منبوزين، وعن عِدَاد أهل العلم مُبعدين، ما أكثر خطأهم، وأبعد نُجعتهم، وأشنع تناقضهم.

قال الإمام الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: (مَنْ تَفَقَّهَ مِنْ بَطُونِ الْكُتُبِ ضَيَّعَ الْأَحْكَامَ).

وكان بعضهم يقول: (مِنْ أَكْثَرِ الْبَلِيَّةِ تَشْيُّخُ الصَّحِيفَةِ) أي: الذين تعلموا من الصحف.

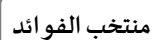
قال الفقيه سليمان بن موسى: (كَانَ يُقَالُ: لَا تَأْخُذُوا الْقُرْآنَ مِنَ الْمُصَحِّفِينَ، وَلَا الْعِلْمَ مِنَ الصَّحَفِيِّينَ).

وقال الإمام سعيد بن عبد العزيز التنوخي - وكان يُسَاوَى بالأوزاعي -:
كان يقال: (لَا تَحْمِلُوا الْعِلْمَ عَنْ صَحْفِي، وَلَا تَأْخُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ مِصْحَفِي).

وقديماً قيل: (مَنْ كَانَ شَيْخَهُ كِتَابَهُ، كَانَ خَطْوُهُ أَكْثَرَ مِنْ صَوَابِهِ).

ولقد أحسن أبو حَيَّان النحوي حينما قال:

يَظُنُّ الْعُمْرُ أَنَّ الْكُتُبَ تُجَدِّى ❁ أَخَافُهُمْ لِإِدْرَاكِ الْعُلُومِ

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

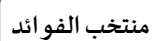
وَمَا يَذْرِي الْجَهُولُ بِأَنَّ فِيهَا ❁ غَوَامِضَ حَيَّرَتْ عَقْلَ الْفَهِيمِ
 إِذَا رُمَتْ الْعُلُومَ بِغَيْرِ شَيْخٍ ❁ ضَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
 وَتَلْتَبِسُ الْأُمُورُ عَلَيْكَ حَتَّى ❁ تَكُونَ أَضَلَّ مِنْ تَوْما الْحَكِيمِ

وقد شرح العلماء المعنى الذي من أجله ألزم الطالب أخذ العلم من أفواه العلماء، فمن ذلك قول ابن بطلان - رحمه الله -: (يوجد في الكتاب أشياء تصدُّ عن العلم، وهي معدومة عند المعلم، وهي: التصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بروغان البصر... وقلَّة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب، وكتابة ما لا يُقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظٍ مصطلح عليها في تلك الصناعة... فهذه كلها معوِّقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم.

إذا كان الأمر على هذه الصورة؛ فالقراءة على العلماء أجدي وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه). اهـ

وقد ذكر قبل هذا الوجه؛ خمسة أوجه في بيان العلل التي من أجلها صار التعلم من أفواه الرجال أفضل من التعلم من الصحف، فلتنظر في «شرح إحياء علوم الدين».



[illegible]

العَائِقُ الرَّابِعُ أَخْذُ الْعِلْمِ عَنِ الْأَصَاغِرِ

قد فشت ظاهرة أخذ العلم عن صغار الأسنان بين طلاب العلم في هذا الزمن .

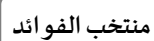
وهذه الظاهرة - في الحقيقة - داءٌ عضال ، ومرضٌ مزمن ، يُعيق الطالب عن مراده ، ويعوّجُّ به عن الطريق السليم الموصل إلى العلم .

وذلك لأنَّ أخذ العلم عن صغار الأسنان الذين لم ترسخ قدمهم في العلم ، ولم تشب لحاهم فيه ، مع وجود مَنْ هو أكبر منهم سنًّا ، وأرسخُ قدمًا ؛ يُضعف أساسَ المبتدئ ، ويحرمه الاستفادة من خبرة العلماء الكبار ، واكتساب أخلاقهم التي قَوَّمَهَا العلم والزمن ... إلى غير ذلك من التعليقات التي يوحى بها أثر ابن مسعود - رضي الله عنه - حيث يقول :

(ولا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، وعن أمنائهم ، وعلمائهم ، فإذا أخذوه عن صغارهم ، وشرارهم ؛ هلكوا) .

وثبت الحديث عن أبي أمية الجُمَحي أن رسول الله ﷺ قال :

«إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يُلْتَمَسَ الْعِلْمُ عِنْدَ الْأَصَاغِرِ» .



۳۴

وقد اختلف الناس في تفسير: «الصغار» هنا على أقوال ذكرها ابن عبد البر في «الجامع» (١/١٥٧)، والشاطبي في «الاعتصام» (٢/٩٣).

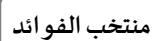
وقد ذهب ابن قتيبة - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - إلى أَنَّ الصغار هم صغار الأسنان، فقال على أثر ابن مسعود الآنف الذكر: (يريد لا يزال الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث؛ لأنَّ الشيخ قد زالت عنه متعة الشباب، وحِدَّتْه، وعجلته، وسفهه، واستصحب التجربة والخبرة، ولا يدخل عليه في علمه الشبهة، ولا يغلب عليه الهوى، ولا يميل به الطمع، ولا يستزله الشيطان استزلالَ الحَدَثِ، فمع السَّنِّ: الوقارُ، والجلالة، والهيبة.

والحَدَثُ قد تدخل عليه هذه الأمور التي أُمِنْتُ على الشيخ، فإذا دخلت عليه، وأفتى؛ هلك وأهلك). اهـ

وقد روى ابن عبد البر عن عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أنه قال: «قد علمت متى صلاحُ الناس، ومتى فسادهم: إذا جاء الفقه من قِبَلِ الصغير استعصى عليه الكبير، وإذا جاء الفقه من الكبير تابعه الصغير، فاهتديا».

وروى ابن عبد البر - أيضاً - عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: (إنكم لن تزالوا بخير ما دام العلم في كباركم، فإذا كان العلم في صغاركم سفه الصغير الكبير).

ففي هذين الأثرين تعليلٌ لعدم الأخذ عن «الصغير» آخر غير الذي ذكره ابن قتيبة. وهو: خشية ردِّ العلم إذا جاء من الصغير.



۳۶

وعلى كلِّ فإنَّ لفظ «الصغير» عامةٌ تتناول: الصغير حسًّا ومعنًى .

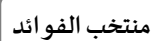
وهذا الحكم ليس على إطلاقه في «صغير السنِّ»، فقد أفتى ودرَّس جماعة من الصحابة والتابعين في صغرهم، بحضرة الأكابر، إلَّا أنَّ هؤلاء ينذر وجودَ مثلهم فيمن بعدهم، فإنَّ وُجدوا، وعُلمَ صلاحهم، وسُيِّرَ علمُهم فظهرت رصانته، ولم يوجد من الكبار أحدٌ يؤخذ عنه العلومُ التي معهم، وأُمنَتِ الفِتنَةُ؛ فليؤخذ عنهم .

وليس المراد أن يُهجر عِلْمُ الحَدَثِ مع وجود الأكابر، كَلَّا، وإنَّما المراد إنزال الناس منازلهم . فحقُّ الحَدَثِ النَّابِغِ أن يُنتفع به في المدارس، والمذاكرة، والمباحثة... أمَّا أن يُصدَّرَ للفتوى، ويكتبَ إليه بالأسئلة، فلا، وألف لا؛ لأنَّ ذلك قتلٌ له، وفتنةٌ، وتغريزٌ .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: (لو رأيتُ رجلاً اجتمع الناس حوله لقلتُ: هذا مجنون، من الذي اجتمع الناس حوله لا يحب أن يجودَّ كلامه لهم) .

وقال أيضاً: (بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شُغلوا، وإذا شُغلوا فُقدوا، وإذا فُقدوا طُلبوا، فإذا طُلبوا هَرَبوا) .

فيا أيها الطلاب: إن أردتم العلم من منابعه، فهاؤهم العلماء الكبار، الذين شابت لحاهم، ونحلت جُسومهم، وذبلت قواهم في العلم والتعليم، إلزموهم قبل أن تفقدوهم، واستخرجوا كنوزهم قبل أن تُوارى معهم، وفي الليلة الظلماء يفقد البدرُ .

[illegible]

تنبيه:

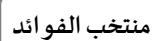
في هذا الزمان اختلَّ معيارُ كثيرٍ من العامَّةِ في تقييمِ العُلَماءِ ، فجعلوا كلَّ مَنْ وَعَظَ موعظةً بليغةً ، أو ألقى محاضرات هادفةً ، أو خطَبَ الجمعةَ مرتجلًا ... عالماً يُرجع إليه في الإفتاء ، ويؤخذ العلمُ عنه .

وهذه رَزيَّةٌ مُؤَلِّمَةٌ ، وظاهرةٌ مُزَيِّةٌ ، تطاير شرُّها ، وَعَمَّ ضرُّها ، إذ هي مِنْ إِسْنَادِ العلمِ إلى غيرِ أهله ، وإذا وُسدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلهِ فانتظرِ السَّاعةَ .

فليحذر الطالب من أخذِ العلمِ عن هؤلاء ، إلَّا إذا كانوا مِنْ أَهْلِ العلمِ المعروفين ، فما كُلُّ مَنْ أَجَادَ التَّعْيِيرَ كان عالماً ، ولا كُلُّ مَنْ حَرَفَ وُجُوهَ النَّاسِ إليه بالوَقِيعَةِ في ولاةِ أُمُورِ المسلمين ، أو بذِكرِ (التَّسَبُّبِ) لوفيات الإيِّدِز ، ونحوها ؛ يكون عالماً .

وليس معنى ما تقدَّم - كما يَفْهَمُ البَعْضُ - عَدَمُ الاستماعِ إليهم ، أو الانتفاعِ بمواعظهم ، كلاً ، إنما المرادُ عَدَمُ أخذِ العلمِ الشَّرْعِيِّ عنهم ، وعدمُ رفعهم إلى منازل العلماء ، والله الموفق .



This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

العائق الخامس

عدم التدرج في العلم

لا ترى أحداً من العلماء ينازع في مبدأ «التدرج» ؛ لأنه الوسيلة الناجحة لأخذ العلم ، وفهمه .

وهذا مأخوذ من كتاب الله تعالى ، قال تعالى :

﴿وَقُرْءَانَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] .

وقال تعالى :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢] .

قال الزبيدي نقلاً عن «الذريعة» في وظائف المتعلم : (يجب ألا يخوض في فنٍّ حتى يتناول من الفن الذي قبله على الترتيب بُلغته ، ويقضي منه حاجته ، فازدحام العلم في السمع مَضِلَّةُ الفهم) .

وعلى هذا قال تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] .

أي : لا يتجاوزن فناً حتى يُحْكِمُوهُ علماً وعملاً ، فيجب أن يقدم الأهم فالأهم من غير إخلال في الترتيب .



وكثير من الناس مُنِعوا الوصول لتركهم الأصول . وحقه أن يكون قصده
من كل علم يتحرّاه التَّبَلُّغُ به إلى ما فوقه ، حتى يبلغ النهاية . اهـ

والتدرُّج يكون في أمرين :

الأول : تدرُّج بين الفنون .

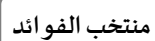
الثاني : تدرُّج في الفن الواحد .

وكلا الأمرين يخضع لاجتهاد المعلم ، وطبيعة المكان ، ولذا فإن
إشارات العلماء في التدرج تختلف باختلاف مذاهبهم ، وأماكنهم ، وسأضع
بين يدي القارئ نماذج من توجيهاتهم ليأخذ ما يُلائمه ، بعد موافقة شيخه
ومعلمه .

روى ابن المديني عن عبد الوهاب بن همام عن ابن جريج قال : (أتيت
عطاءً ، وأنا أريد هذا الشأن ، وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير ، فقال لي ابن
عمير : قرأت القرآن ؟ قلتُ : لا ، قال : فاذهب فاقرأه ، ثم اطلب العلم . فذهبت
فغيرتُ زماناً ، حتى قرأت القرآن ، ثم جئتُ عطاءً ، وعنده عبد الله ، فقال :
قرأت الفريضة ؟ قلتُ : لا ، قال : فتعلم الفريضة ، ثم اطلب العلم . قال : فطلبت
الفريضة ثم جئتُ ، فقال : الآن فاطلب العلم) .

وقال أبو العيْناء : (أتيتُ عبدَ الله بن داود ، فقال : ما جاء بك ؟ قلتُ :
الحديث ، قال : اذهب فتحفظ القرآن ، قلتُ : قد حفظت القرآن ، قال : فاقرأ

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ...﴾ [يونس : ٧١] .

Σ Σ

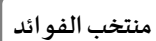
فقرأت العُشْرَ حتى أنفذته ، فقال لي : اذهب الآن فتعلم الفرائض ، قلت :
 قد تعلمت الصُّلْبَ ، والجدَّ ، والكُبرَ ، قال : فأیما أقرب إليك ابن أخيك ، أو
 عمك ؟ قلت : ابن أخي ، قال : ولم ؟ قلت : لأنَّ أخي من أُمِّي ، وعمي من
 جدي ، قال : اذهب الآن فتعلم العربية ، قال : قد علمتها قبل هذين ، قال : فلم
 قال عمر - يعني : حين طعن - : يا لله وللمسلمين ، لم فتح تلك ، وكسر هذه ؟
 قلت : فتح تلك اللام على الدعاء ، وكسر هذه على الاستغاثة ، والانتصار .
 فقال : لو حدثتُ أحداً لحدَّثتك) .

قال أبو عمر ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : طلب العلم درجات ومناقل
 ورُتَبٌ ، لا ينبغي تعديها ، ومَنْ تعدّاها جملةً فقد تعدّى سبيل السلف - رَحِمَهُ اللهُ - ،
 ومَنْ تعدّى سبيلهم عامداً ضلَّ ، ومَنْ تعدّاه مجتهداً زلَّ .

فأول العلم : حفظ كتاب الله جلَّ وعزَّ ، وتفهمه ، وكل ما يُعين على فهمه
 = فواجبٌ طلبه . ولا أقول : إن حفظه كلّه فرض ، ولكن أقول : إن ذلك واجب
 لازم على مَنْ أحب أن يكون عالماً ، ليس من باب الفرض .

فمَنْ حفظه قبل بلوغه ثم فرغ إلى ما يستعين به على فهمه من لسان
 العرب ؛ كان له ذلك عوناً كبيراً على مراده منه ، ومن سنن رسول الله ﷺ .

ثم ينظر في ناسخ القرآن ومنسوخه وأحكامه ، ويقف على اختلاف
 العلماء واتفاقهم في ذلك ، وهو أمر قريب على مَنْ قرّبه الله عليه .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

ثم ينظر في السنن المأثورة الثابتة عن رسول الله ﷺ ، فيها يصل الطالب إلى مراد الله جل وعزَّ في كتابه ، وهي تفتح له أحكام القرآن فتحاً .

وفي سير رسول الله ﷺ تنبيه على كثير من الناسخ والمنسوخ في السنن .
ومن طلب السنن فليكن معوّله على حديث الأئمة الثقات الحفاظ ... إلى أن قال ص ١٧٢ :

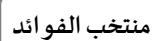
فعليك يا أخي بحفظ الأصول ، والعناية بها .

واعلم أنّ مَنْ عُنِيَ بحفظ السنن والأحكام المنصوصة في القرآن ، ونظر في أقاويل الفقهاء ، فجعله عوناً له على اجتهداه ، ومفتاحاً لطرائق النظر ، وتفسيراً لجُمْل السنن المحتملة للمعاني ، ولم يقلد أحداً منهم تقليد السنن ، التي يجب الانقياد إليها على كل حال دون نظر ، ولم يرح نفسه مما أخذ العلماء به أنفسهم من حفظ السنن وتدبرها ، واقتدى بهم في البحث والتفهم والنظر وشكر لهم سعيهم فيما أفادوه ونبهوا عليه وحمدهم على صوابهم - الذي هو أكثر أقوالهم - ولم يبرأهم من الزلل ، كما لم يبرئوا أنفسهم منه .

فهذا هو الطالب المتمسك بما عليه السلف الصالح ، وهو المصيب لحظّه ، والمعاین لرشدّه ، والمتّبع لسنة نبيه ﷺ ، وهدى صحابته رضي الله عنهم ... إلخ . اهـ

وقال ابن الجوزي :

وقد عُلِمَ قِصْرُ العمر ، وكثرة العلم : فيبدأ - أي : الطالب - بالقرآن وحفظه ، وينظر في تفسيره نظراً متوسطاً لا يخفى عليك بذلك منه شيء .

Σ Λ

وإن صحَّ له قراءة القراءات السبعة، وأشياء من النحو وكتب اللغة،
 وابتدأ بأصول الحديث من حيث النقل كالصحيح والمسانيد والسنن، ومن
 حيث علم الحديث كمعرفة الضعفاء والأسماء، فليُنظر في أصول ذلك. وقد
 رتبت العلماء من ذلك ما يستغني به الطالب عن التعب. وليُنظر في التواريخ
 ليعرف ما لا يستغني عنه كنسب رسول الله ﷺ، وأقاربه، وأزواجه، وما جرى
 له. ثم يُقبَّل على الفقه فليُنظر في المذهب والخلاف، وليكن اعتماده على
 مسائل الخلاف، فليُنظر في المسألة، وما تحتوي عليه، فيطلبه من مظانه،
 كتفسير آية، وحديث، وكلمة لغة.

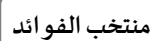
ويتشغل بأصول الفقه، وبالفرائض، وليعلم أن الفقه عليه مدار العلوم.

اهـ

هذه شذرات من توجيهات العلماء - رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - لطالب العلم، وهي
 خلاصة تجاربهم في طريق التعلم، أهدوها لنا حفاظاً على وقتنا، ورعايةً
 لتأسيسنا على النهج القويم، فلا نَحْذَ عن طريقهم؛ لئلا يقع الخلل في
 معلوماتنا، فتخوننا ونحن أحوج ما نكون إليها.

مَنْ لَمْ يُشَافِهِ عَالِمًا بِأُصُولِهِ ❁ فَيَقِينُهُ فِي الْمُسْكَلَاتِ ظُنُونٌ

ورحم الله ابن عبد البر إذ نعى طلاب العلم في زمنه فقال: واعلم -
 رحمك الله - أن طلب العلم في زماننا هذا، وفي بلدنا قد حادَّ أهله عن طريق
 سلفهم، وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمتهم، وابتدعوا في ذلك ما بان به
 جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم. اهـ

0.

وقد رتب ابن الجوزي جدولاً للطالب يبلغ به المنتهى ، فقال : وأول ما ينبغي أن يُكَلَّف - أي : طالب العلم في صباه - حفظُ القرآن متقناً ، فإنه يثبت ويختلط باللحم والدم ، ثم مقدمة في النحو يعرف بها اللحن ، ثم الفقه مذهباً وخلافاً ، وما أمكن بعد هذا من العلوم فحفظه حسن . اهـ

ويضاف إلى ذلك النظر في متون الحديث ومصطلحه ؛ ليكون الفقه مبنياً على القرآن ، وما صح عن الرسول ﷺ ، فيبلغ صاحبُه الذروة في الفضائل .

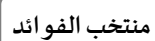
وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - :

أما العلم النافع فهو : العلم المُزَكِّي للقلوب والأرواح ، المثمر لسعادة الدارين ، وهو ما جاء به الرسول ﷺ من حديث وتفسير وفقه وما يعين على ذلك من علوم العربية بحسب حالة الوقت ، والموضع الذي فيه الإنسان .

وتَعَيَّنُ ما يُشْتَغَلُ به من الكتب يختلف باختلاف الأحوال والبلدان .

والحالة التقريبية في نظرنا هنا : أن يجتهد طالبُ العلم في حفظ مختصرات الفن الذي يشتغل به ، فإن تعذر أو قصُر عليه حفظه لفظاً ؛ فليكرِّره كثيراً حتى ترسخ معانيه في قلبه ، ثم تكونُ باقي كتب الفن كالتوضيح والتفسير لذلك الأصل الذي أدركه وعرفه .

فلو حفظ طالب العلم «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية ، و«ثلاثة الأصول» و«كتاب التوحيد» للشيخ محمد .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

وفي الفقه: «مختصر الدليل» و«مختصر المقنع».

وفي الحديث: «بلوغ المرام».

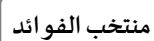
وفي النحو: «الآجرومية».

واجتهد في فهم هذه المتون، وراجع عليها ما تيسر من شروحيها، أو كتب فنّها، فإنها كالشروح لها؛ لأنّ طالب العلم إذا حفظ الأصول، وصار له ملكة تامّة في معرفتها؛ هانت عليه كتب الفنّ كلّها الصغار والكبار. ومن ضيّع الأصول حرّم الوصول.

فمن حرص على هذه العلوم النافعة، واستعان بالله = أعانه، وبارك له في علمه، وطريقه الذي سلكه. ومن سلك في طلبه للعلم غير الطريقة النافعة = فاتت عليه الأوقات، ولم يدرك إلّا العناء، كما هو معروف بالمشاهدة والتجربة. اهـ

فهذا اقتراح مفصّل من الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - حريّ بالاعتناء. وقد استقرينا تراجم علمائنا، فما منهم من خرج عن هذا السبيل، وبذلك حازوا قصبات السبق.

وليكن معلوم لدى طالب العلم أن حثنا على حفظ مختصر في الفقه ليس دعوة إلى التقليد المذموم، وإنما هو لفوائد شتى، منها: امتلاك الطالب أساساً قوياً في هذه المادة الشاهقة الارتفاع، وحصر ذهنه في المسائل الموجودة في هذا المختصر لئلا تختلط عليه المسائل فلا يستطيع التمييز بين أحكامها، والسعي في تدرّجه إلى مرحلة الاجتهاد درجة درجة، وأول السّلم هذه المختصرات.

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

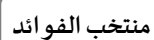
وليس معنى حفظها العمل بكل ما فيها، إذ لا بدّ من معلّم تُقرأ عليه، فيوضّح غامضها، ويحلّ مشكلها، ويبيّن الراجح من المرجوح فيها.

والدخول في هذا المبحث مما يستدعي إطالة لا نريدها هنا، إلّا أنني أنقل أحرفاً عن المنصف الكبير المربي الفاضل العلامة الذهبي - رحمته الله - إذ جعل لكل إنسان منزلته، فقال: مَنْ بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدّة من الأئمة، لم يسُغ له أن يُقلّد.

كما أنّ الفقيه المبتدئ، والعاميّ الذي يحفظ القرآن أو كثيراً منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد؟ وما الذي يقول؟ وعلام يبيّن؟ وكيف يطير؟ ولما يُريش؟

والقسم الثالث: الفقيه المنتهي، اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل، مع حفظه لكتاب الله، وتشاغله بتفسيره، وقوة مناظرته، فهذه رتبة مَنْ بلغ الاجتهاد المقيّد، وتأهّل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحق في مسألة، وثبت فيها النصّ، وعمل به أحد الأئمة الأعلام... فليتبّع فيها الحقّ، ولا يسلك الرخص، وليتورّع، ولا يسعّه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليدٌ. اهـ

فرحم الله امرأً عرف قدر نفسه، ولم يرفعها فوق منزلتها، وأخذ العلم على طريقة سلفه، والله المستعان.

07

العَائِقُ السَّادِسُ

الغرور والعجب والكبر

معصية الله تعالى عائقة عن نيل العلم الشرعي ؛ لأنه نور الله يقذفه في أفئدة من شاء من عباده ، ولا يجتمع في قلب نور وظلمة ، ولذا قال ابن مسعود - رضي الله عنه - : إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله .

ورحم الله الشافعي حيث قال :

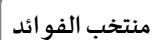
شَكُوتُ إِلَى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي ❁ فَأَرَشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ ❁ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصِي

وإن أقبح ما تلبس به طالب العلم من المعاصي - وكلها قبيح - التكبر والتعظيم والغرور ، فيزدري هذا ، وترفّع عن هذا ، ويتبختر في المشي ، ويتشدّق في الكلام ، إلى غير ذلك من صفات العجب بالنفس ، التي نهى الله تعالى عنها في قوله :

﴿ وَلَا تَمْسِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان: ١٨] .

المرحُ: التبختر .

وقال تعالى : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعِقبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص: ٨٣] .



○人

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ:

«بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مَرَجَلٌ رَأْسُهُ، يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قال ابن الجوزي - رحمه الله -:

أفضل الأشياء التزُّيد من العلم، فإنه مَنْ اقتصر على ما يعلمه فظنه كافياً، استبدَّ برأيه، فصار تعظيمه لنفسه مانعاً من الاستفادة.

قال: غير أنَّ اقتصار الرجل على علمه إذا مازجه نوعٌ رؤيَّةٍ للنفس حُبَسَ عن إدراك الصواب، نعوذ بالله من ذلك. اهـ

وصدق عليُّ بن ثابت حينما قال:

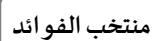
الْعِلْمُ أَفْتُهُ: الْإِعْجَابُ وَالْعَصَبُ ❁ وَالْمَالُ أَفْتُهُ: التَّبْذِيرُ وَالنَّهَبُ

قال أيوب السَّخْتْيَانِي: ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعاً لله.

وقالوا: المتواضع من طلاب العلم أكثر علماً، كما أنَّ المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً.

وقيل لحكيم: ما النعمة التي لا يُحسد عليها صاحبها؟ قال: التواضع. قيل له: فما البلاء الذي لا يرحم عليه صاحبه؟ قال: العجب.

فيحذر الطالب من هذه الصفات الذميمة، التي يُمقَّتُها الله، ويمقَّتُها المؤمنون، فإنَّ مَنْ تواضع لله رفعه، ووضده: مَنْ لم يتواضع لله سفلَ.



7.

وإذا حدثته نفسه بشيءٍ من ذلك فليذكر مآله ومصيره ، وليعلم أن هناك مَنْ هو أصغر منه سنًا ، وأكبر منه علمًا .

ولقد بلينا في هذا الزمن بشرذمةٍ قليلةٍ - والله الحمد - يقرؤون كتابًا أو كتابين ، ويحفظون مسألةً أو مسألتين ، ثم بعد يومٍ أو يومين - من أعمارهم في الطلب - يصبحون مجتهدين ، وليتهم يقتصرون على هذا الخيال الكاسد ، بل يستصغرون غيرهم من العلماء ، بله طلبه العلم والدعاة ، ويرون لأنفسهم مكانًا عاليًا لا يصل إليه أحد ، يظهر ذلك على ملايسهم ، ومشيهم ، وكلامهم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ما أعظم ضررهم ، وأقل نفعهم ، وأمتن جهلهم ، نسأل الله تعالى أن يهديهم سواء السبيل .

وإلى هؤلاء أسوق فصلاً نفيساً لابن الجوزي - رحمه الله - حيث يقول :

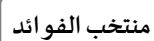
انتقدتُ على أكثر العلماء والزهاد: أنهم يُبطنون الكبر .

فهذا ينظر في موضعه وارتفاع غيره عليه ، وهذا لا يعود مريضاً فقيراً يرى نفسه خيراً منه .

وقلَّ مَنْ رأيتُ إلَّا وهو يرى نفسه .

والعجب كل العجب ممن يرى نفسه ، أتراهُ بماذا رآها !

إن كان بالعلم فقد سبقه العلماء ، وإن كان بالتعبد فقد سبقه العباد ... إلى أن قال :



٧٢

وَمَنْ تَلَمَّحَ خِصَالَ نَفْسِهِ وَذُنُوبَهَا عَلمَ أَنَّهُ عَلَى يَقِينٍ مِنَ الذُّنُوبِ ،
والتقصير ، وهو مِنْ حَالٍ غَيْرِهِ عَلَى شَكٍّ .

فالذي يُحذِّرُ منه : الإعجاب بالنفس ، ورؤْيُةُ التَّقدم في أحوال الآخرة ،
والمؤمن الحق لا يزال يحتقر نفسه .

وقد قيل لعمر بن عبد العزيز - رحمته الله - : إِنْ مِتَّ نَدَفْنُكَ فِي حِجْرَةِ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : لَأَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِكُلِّ ذَنْبٍ غَيْرِ الشُّرْكِ ؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَرَى نَفْسِي
أَهْلًا لَذَلِكَ . اهـ

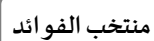
قال في «تهذيب الإحياء» :

والكبر بالعلم ، هو أعظم الآفات وأغلب الأدوية ، وأبعدها عن قبول
العلاج ، إِلَّا بِشِدَّةٍ شَدِيدَةٍ ، وَجَهْدٍ جَهِيدٍ ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ قَدْرَ الْعِلْمِ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ ،
عَظِيمٌ عِنْدَ النَّاسِ ، وَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ قَدْرِ الْمَالِ وَالْجَمَالِ وَغَيْرِهِمَا .

ولن يقدرَ العالم على دفع الكبر إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَمْرَيْنِ :

أحدهما : أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حِجَّةَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ آكَدُ ، وَأَنَّهُ يُحْتَمَلُ مِنَ
الْجَاهِلِ مَا لَا يُحْتَمَلُ عُشْرُهُ مِنَ الْعَالِمِ ، فَإِنَّ مَنْ عَصَى اللَّهَ تَعَالَى عَنْ مَعْرِفَةٍ
وَعِلْمٍ ؛ فَجَنَانِيَّتُهُ أَفْحَشُ ، إِذْ لَمْ يَقْضِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْعِلْمِ .

الأمر الثاني : أَنَّ الْعَالِمَ يَعْرِفُ أَنَّ الْكِبْرَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللَّهِ ﷻ وَحْدَهُ ، وَأَنَّهُ
إِذَا تَكَبَّرَ صَارَ مَمْقُوتًا عِنْدَ اللَّهِ بَغِيضًا . اهـ لحديث أبي هريرة - رحمته الله - . قال : قال
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

78

«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْعِزُّ إِزَارِي ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي ، فَمَنْ يَنَازِعُنِي عَذِّبْتُهُ» .

وعن عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن النبي ﷺ قال :

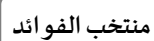
«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ» .

فقال رجلٌ : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ، ونعله حسنةً ؟ قال :

«إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ، الْكِبَرُ بَطْرُ الْحَقِّ ، وَغَمَطُ النَّاسِ» .

غمط الناس : احتقارهم .



This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

العائق السابع استعجال الثمر

يَظُنُّ بعض الطلبة أَنَّ العلم لقمة سائغة ، أو جَرعة عذبة ، سرعان ما تظهر نتائجها ، وتبين فوائدها .

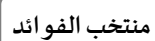
فيؤمِّل في قرارة نفسه أنه بعد مضي سنة أو أكثر أو أقل - من عمره في الطلب - سيصبح عالمًا جهيدًا ، لا يدرك شأوه ، ولا يُشَقُّ غباره .

وهذه نظرة خاطئة ، وتصور فاسد ، وأملٌ كاسد ، أضراره وخيمة ، ومفاسده عظيمة ، إذ يفضي بصاحبه إلى ما لا تحمد عقباه ، من القول على الله بغير علم ، والثقة العمياء بالنفس ، وحب العلوِّ والتصدر . . . وينتهي مطافه بين هذه الأشياء إلى هجر الانتساب للعلم وأهله .

ولقد أصاب المأمونُ عندما قال - متهكمًا بهذا الضرب من الطلبة - :
يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام ثم يقول : أنا من أهل الحديث .

والنَّاظر إلى حال السلف يرى عجبًا من صبرهم على مرارة التحصيل ، وطول الجادة ، لا يفترون ولا يتقاعسون ولا يستكبرون ، شعارهم : « العلم من المهد إلى اللحد » . . . « العلم من المحبرة إلى المقبرة » .

قال الإمام ابن المديني : قيل للشعبي : من أين لك هذا العلم كله ؟ قال :
(بنفي الاعتماد ، والسير في البلاد ، وصبر كصبر الجماد ، وبكور كبكور الغراب) .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

وقال الإمام الشافعي: (لا يبلغ في هذا الشأن رجلٌ حتى يضُرَّ به الفقر ويؤثره على كلِّ شيء).

وقال ابن حمزة: (قال لي يعقوب بن سفيان - الحافظ الإمام -: أقمْتُ في الرحلة ثلاثين سنة).

وقال يحيى بن أبي كثير: (لا يُستطاع العلمُ براحة الجسد).

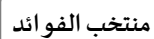
وقال ابن الحداد المالكي: (ما للعالم وملاءمة المضاجع).

فعلى طالب العلم أن يتأسَّى بهؤلاء الأئمة ، وأن يحذو حذوهم ، حتى ينال مُناه ، ويدرك بُغيته ، فإنَّ منهجهم سليم ، وطريقهم قويُّمٌ ، وما حصل لهم ما حصل من ذِكْرٍ حَسَنٍ ، ونفع مستمر للمسلمين إلَّا بالصبر والمثابرة ، وازدراء كل ما يُبذل من مالٍ ، ووقتٍ في سبيل العلم والمعرفة .

وختاماً أذكر محاورَةً بين اثنين ، تبين قيمة العلم ، ومكانته العالِيَّة ، وأنه لا يحصل إلَّا لِمَن يبذل فيه كلَّ شيءٍ ، على حدِّ قولهم: «أعطِ العلمَ كلَّك يعطيك بعضه» .

قال رجلٌ لآخر: بِمَ أدركتَ العلمَ ؟

قال: طلبته فوجدته بعيد المرام ، لا يصاد بالسهم ، ولا يرى في المنام ، ولا يورث عن الآباء والأعمام .



✓

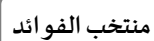
فتوسلت إليه بافتراش المَدَرِ، واستناد الحجر، وإدمان السهر، وكثرة النظر، وإعمال الفكر، ومتابعة السفر، وركوب الخطر: فوجدته شيئاً لا يصلح إلا للغرس، ولا يغرس إلا في النفس، ولا يسقى إلا بالدرس.

أرأيت مَنْ أشغل نهاره بالجمع، وليله بالجماع، هل يخرج من ذلك فقيهاً؟ كلا والله.

إنَّ العلم لا يحصل إلاَّ لِمَنْ اعتضد الدفاتر، وحمل المحابر، وقطع القفار، وواصل في الطلب الليل والنهار.

ولعل في هذه المحاور الظريفة ما يُزيل الصورة المترسِّبة في أذهان بعض الطلبة: من أنَّ العلم ينال في مدَّة وجيزة، وفترة قصيرة، فيواصلوا جهودهم، ويحتقروا مبذولهم، في طريق العلم والتعلم، حتى يفتح الله عليهم أبواب المعرفة والعلم فيصبحوا قادة في العلم، أئمة في الهدى.





۷۲

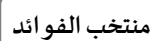
العائق الثامن دنوُّ الهمة

نرى بين صفوف طلبة العلم أناساً يمتلكون مواهبَ جليلة ، وقدرات هائلة ، تُؤهلهم للزعامة العلمية ، إلّا أنّ دنوَّ همّتهم يحرق مواهبهم ، ويزيل بهاء نبوغهم ، فتجدهم يقنعون بيسير المعلومات ، ويأنفون من القراءة والمطالعة ، ويتشاغلون عن الطلب والتحصيل .

وهؤلاء سرعان ما تُنزع ملكيَّة قُدراتهم ، وتُسلب بركة أوقاتهم ؛ ذلك بأنّ كفر النعمة مؤذِنٌ برحيلها ، كما أنّ شكرها مؤذِنٌ بمزيدها .

قال الفراء - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - : لا أرحم أحداً كرحمتي لرجلين : رجلٍ يطلب العلم ولا فهمَ له . ورجلٍ يفهم ولا يطلبه . وإني لأعجب ممَّن في وسعه أن يطلب العلم ولا يتعلَّم .

وقال أبو الفرج ابن الجوزي - رَحِمَهُ اللهُ - تعليقاً على قول أبي الطيب المتنبي : وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عَيْبًا ❁ كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ ينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه ، فلو كان يُتصور للآدمي صعودُ السماوات لرأيتُ من أقبح النَّقَائِصِ رضاه بالأرض ، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد ، رأيتُ المقصّر في تحصيلها في حضيض... والسيرة الجميلة عند الحكماء : خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل .

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

قال: وفي الجملة لا يترك فضيلةً يمكن تحصيلها إلا حصلها، فإن القنوع حالة الأراذل.

فَكُنْ رَجُلًا رَجُلُهُ فِي الثَّرَى ❁ وَهَامَةٌ هَمَّتْهُ فِي الثَّرَى

ولو أمكنك عبور كل أحد من العلماء والزهاد فافعل، فإنهم كانوا رجالاً وأنت رجل، وما قعد من قعد إلا لدناءة الهمة وخساستها.

واعلم أنك في ميدان سباق، والأوقات تُنتهب، فلا تخلد إلى كسل، فما فات ما فات إلا بالكسل، ولا نال من نال إلا بالجد والعزم. اهـ

فيا من أنس من نفسه علامة النبوغ والذكاء، لا تبغ عن العلم بدلاً، ولا تشتغل بسواه أبداً، فإن أبيت فأجبر الله عزاءك في نفسك، وأعظم أجر المسلمين فيك، ما أشد خسارتك، وأعظم مصيبتك.

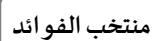
دَعْ عَنْكَ ذِكْرَ الْهَوَى وَالْمَوْلَعِينَ بِهِ ❁ وَانْهَضْ إِلَى مَنْزِلٍ عَالٍ بِهِ الدُّرُ

تَسَلُّوا بِمَرْبِئِهِ عَنْ كُلِّ غَالِيَةٍ ❁ وَعَنْ نَعِيمٍ لِدُنْيَا صَفْوُهُ كَدَرُ

وَعَنْ نَدِيمٍ بِهِ يَلْهُو مُجَالِسُهُ ❁ وَعَنْ رِيَاضٍ كَسَاهُ النَّوْرُ وَالزَّهَرُ

إِنْهَضْ إِلَى الْعِلْمِ فِي جِدٍّ بِلَا كَسَلٍ ❁ نُهْضَ عَبْدٍ إِلَى الْخَيْرَاتِ يَتَدَرُ

وَاضْبِرْ عَلَى نَيْلِهِ صَبْرَ الْمُجِدِّ لَهُ ❁ فَلَيْسَ يُدْرِكُهُ مَنْ لَيْسَ يَصْطَبِرُ

[illegible]

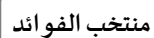
وإنَّ من أنفع الأمور التي تعين على علوِّ الهمة: النظر في سير السلف - ﷺ - ، فإنَّ أحوالهم غايةُ الكمالِ علماً وعملاً ، فإذا ما رآها الطالب ازدري نفسه ، وقلَّ عمله في عينه ، فسعى لِلْحُوقِ بالقوم ، والتشبهَ بهم ، ومَن تشبَّه بقومٍ فهو منهم .

قال ابن الجوزي:

فالله الله عليكم بملاحظة سير السلف ، ومطالعة تصانيفهم ، وأخبارهم ، فلا استكثارٌ من مطالعة كتبهم رؤيةً لهم .

قال: وليكثر من المطالعة ، فإنه يرى من علوم القوم ، وعلوِّ هممهم ما يشحذُ خاطره ، ويحركُ عزمته للجدِّ . اهـ



 $\vee \wedge$

العَائِقُ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ

التسويق والتَّمَنِّي

* التسويق: التأخير والمدافعة. يقال: سَوَّفَ الأمر، إذا قال: سوف أفعل.

ويطلق التسويق على الأمانى. يقال: فلانٌ يقات السَّوْفَ؛ أي: يعيش بالأمانى. قال الكُمَيْت:

وَكَانَ السَّوْفُ لِلْفَتِيَانِ قُوتًا ❁ تَعِيشُ بِهِ، وَهِنَتِ الرَّقُوبُ

* والتَّمَنِّي: حديث النفس بما يكون - مستقبلاً - وما لا يكون - أي: مستحيلاً - . وقيل: إرادةٌ تتعلق بالمستقبل.

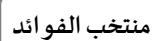
والتسويق والتَّمَنِّي داءان خطيران، يفسدان القلب والوقت، ويعرَّجان بالمرء إلى عالم الخيال.

أمَّا التسويق: فصفةٌ بليدِ الحسِّ، عديمِ المبالاة، كلما همَّتْ نَفْسُهُ بخير، عاقها بـ«سوف» و«سأعمل» حتى يفجؤه الموت فيقول:

﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [المنافقون: ١٠].

فعلى طالب العلم أن يتنزّه عن هذه المنقصة، ويبادر بالأعمال، عملاً

بقوله تعالى: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] .

فهو أعرف الناس بقيمة الوقت ، وأولاهم بالانتفاع به كله .

وقد قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر - رضي الله عنه :-

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» .

وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا
تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك» .

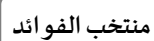
قال ابن الجوزي:

ومن أجال على خاطره ذكر الجنة التي لا موت فيها ، ولا مرض ، ولا
نوم ، ولا غم ، بل لذاتها متصلة من غير انقطاع ، وزيادتها على قدر زيادة الجِد
ههنا = انتهب هذا الزمان ، فلم يَنَمْ إلَّا ضرورة ، ولم يغفل عن عِمارة لحظة .
اهـ

❁ أما التمني: فمنه ممدوح ، ومنه مذموم .

أما الممدوح: فهو أن يتمنى فعل الخير المندوب ، ولا يستطيعه ، وله
ثلاثة شروط:

الأول: العزم على الفعل متى ما قدر عليه .



۸۲

الثاني: كونه في حدود الشرعيات ، كتمني بناء مسجدٍ ، ونحوه .

الثالث: أن لا يكون ديدن الإنسان .

وأما المذموم: فقد عبّر عنه ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في شرح كلام شيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي عن مفسدات القلب ، فقال: المفسد الثاني من مفسدات القلب: ركوبه بحر التمني ، وهو بحرٌ لا ساحل له . وهو البحر الذي يركبه مفاليسُ العالم ، كما قيل :

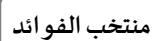
إِذَا تَمَنَيْتَ بِتِّ اللَّيْلِ مُغْتَبِطًا ❁ إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أُمُوالِ الْمَفَالِيسِ

وبضاعة رُكَّابِهِ: مواعيد الشيطان ، وخيالات المحال والبهتان . فلا تزال أمواج الأمانى الكاذبة ، والخيالات الباطلة ، تتلاعب براكبه ، كما تتلاعب الكلابُ بالجيفة . وهي بضاعة كلِّ نفسٍ مهينة خسيصة سُفلية ، ليست لها همة تنال بها الحقائق الخارجية ، بل اعتاضت عنها بالأمانى الدنيئة . . . قال: فيتمثل المتمني صورة مطلوبه في نفسه ، وقد فاز بوصولها ، والتذ بالظفر بها ، فبينما هو على هذه الحال ، إذ استيقظ فإذا يده والحصير . اهـ

وما أحسن ما قال أبو تمام:

مَنْ كَانَ مَرَعَى عَزْمِهِ وَهُمُومِهِ ❁ رَوْضَ الْأَمَانِي لَمْ يَزَلْ مَهْزُولًا

وقد قيل لبعض الحكماء: مَنْ أسوأ الناس حالاً ؟ قال: مَنْ بعدتْ همته ، واتسعت أمنيته ، وقصرت آله ، وقلتْ مقدرته .

 $\wedge \Sigma$

وقال آخر: تجنبوا الأمانى ، فإنها تذهب ببهجة ما خولتكم ، وتستصغرون بها نعمة الله عليكم .

فليتجنب الطالب هذا المرض ، وليحذر تمكُّنه منه ، فإنه كالسرطان الفتاك ، قلَّ مَنْ يبرأ منه .

فكم من صريع له لا يفيق من سباته ، ولا يفتت من قيوده ، أعادنا الله وإياكم منه ، وأشغلنا بالعمل الصالح عن الأمانى الكاذبة ، والخيالات الكاسدة ، وأحلام اليقظة ، التي تضيع الوقت ، وتخفف الميزان .

قال الشاعر:

تَمَنَيْتَ أَنْ تُمَسِّيَ فِقِيهَا مُنَاطِرًا ❁ بَغَيْرِ عَنَاءٍ وَالْجُنُونُ فُنُونُ

وهذه أبيات من قصيدة لي في هذا الموضوع:

وَاهَا لِأَيَّامِ الدَّرَاسَةِ إِنَّهَا ❁ تَكْسُو الْفُؤَادَ سَعَادَةً وَتُنَفِّسُ

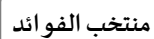
وَالْمَرْءُ فِي زَمَنِ الصَّبَا مُتَوَثِّبُ ❁ خَيْلًا تُغَيِّرُ عَلَى الْخِيَالِ وَتَنْهَسُ

حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْمَدَى وَتَكَشَّفَتْ ❁ أَحْلَامُهُ عَنْ سَوْءَةٍ لَا تُحْبَسُ

وَجَدَ الْمَعِيشَةَ صَعْبَةً لَا تُقْتَنَى ❁ بِالْأُمْنِيَّاتِ وَلَا الزَّمَانِ يُؤَنَّسُ

فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ غَيْرَ أَوْدِيَةِ الْمُنَى ❁ فَالْعَطْبُ فِي وَادِي الْمُنَى يَتَرَأَّسُ





人々

شذرات من كلام العلماء عن: العلم وطلبه

١ - قال الحسن البصري - رحمه الله -: كان الرجل إذا طلب العلم لم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه ، وبصره ، ولسانه ، ويده ، وصلاته ، وزهده .

وإن كان الرجل ليصيب الباب من أبواب العلم فيعمل به ، فيكون خيراً له من الدنيا وما فيها .

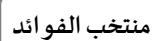
٢ - قال الشافعي - رحمه الله -: العلم علمان: علم الدين ، وهو الفقه . وعلم الدنيا وهو الطبُّ . وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث .

٣ - قال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو يدخل في جملة قوله عليه السلام: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَّبِعْهُ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» .

٤ - قال سحنون بن سعيد: أجسرُ الناس على الفتيا أقلهم علماً ، يكون عند الرجل الباب الواحد من العلم فيظن أن الحقَّ كلمةٌ فيه .

٥ - كان بعض الحكماء يقول: نفعنا الله وإياكم بالعلم ، ولا جعل حظنا منه الاستماع والتعجب .

٦ - قال سفيان الثوري: إذا ترأس الرجل سريعاً أضربَ بكثيرٍ من العلم ، وإذا طَلَبَ وطلَّبَ = بلغ .



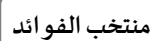
人人

٧ - قال العباس بن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه قال: جاء عبد العزيز الدراوردي في جماعة إلى أبي؛ ليعرضوا عليه كتاباً، فقرأه لهم الدراوردي، وكان رديء اللسان، يلحن لحناً قبيحاً، فقال أبي: ويحك يا دراوردي! أنت كنت إلى إصلاح لسانك قبل النظر في هذا الشأن أحوج منك إلى غير ذلك.

٨ - قال الزهري ليونس بن يزيد:

(لا تكابر العلم، فإن العلم أودية، فأيتها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه، ولكن خذه مع الأيام والليالي، ولا تأخذ العلم جملةً، فإن من رام أخذه جملةً ذهب عنه جملةً، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي).



This image shows a single sheet of white paper with horizontal ruling lines. The lines are evenly spaced and run across the width of the page. There are no margins, text, or other markings on the paper.